﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧﴾ [سبأ: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تفصيلٌ بعدَ إجمالٍ، وتعجيبٌ بعدَ تعجيبٍ

لَمّا بيَّن اللّه أنَّ الكافرينَ أنكَروا السّاعةَ، وردَّ عليهم بقولِه: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾، وبيَّن ما يكونُ بعدَ إتيانِها مِن جزاءِ المؤمنِ على عمَلِه الصّالحِ، وجزاءِ السّاعي في تكذيبِ الآياتِ بالتَّعذيبِ على السَّيِّئاتِ: بيَّن حالَ المؤمنِ والكافرِ بعدَ قولِه: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾؛ فقال: المؤمنُ هو الَّذي يقولُ: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ﴾ وقال: الكافرُ هو الَّذي يقولُ: هو باطلٌ! ومِن غايةِ اعتِقادِهم وعِنادِهم في إبطالِ ذلك، قالوا ذلك على سبيلِ التَّعجُّبِ[1].

فجاءت هذه الآيةُ لتَفصيلِ مقولةِ المُكَذِّبين بعد إجماله؛ فلَمّا عَجَّب ﷺ فيما سبقَ من قول الَّذين كفروا ﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ المتضَمِّنِ تَكذيبَهم، وختَمَ بتصديقِ الَّذين أوتوا العِلمَ، مُشيرًا إلى أنَّ سببَ تكذيبِ الكفَرةِ الجهلُ، والجهلُ سببُه الكِبْرُ: عجَّب منهم هُنا تعجيبًا آخَرَ أشَدَّ مِنَ الأوَّلِ لتصريحِهم بالتَّكذيبِ على وجهٍ عجيبٍ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَدُلُّكُمۡ﴾: (دلّ) أصلٌ يدلُّ على إبانة الشَّيءِ بأَمارَةٍ تتعلَّمُها؛ يُقالُ: دَلَلْتُ فُلانًا على الطَّريقِ[3]، والدّلالةُ: ما يُتوصَّلُ به إلى معرفة الشَّيء[4]، كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالةِ الإشارات والرّموزِ والكناية والعقود في الحساب، والدَّليلُ: ما يُسْتَدَلُّ بِهِ، وكذلك:

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 151.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 450.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دلَّ).
(4) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (دلَّ).

الدّالُّ[1]، وغالبُ اسْتِعْمالِ فِعْلِه أَنْ يَكونَ إرْشادُ مَنْ يَطْلُبُ مَعْرِفَةً؛ فمعنى ﴿نَدُلُّكُمْ﴾ في الآية: نُعَرِّفُكم ونُرشدُكم[2].

2) ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: (نبأ) أصلٌ يدلُّ على الإتْيانِ مِنْ مكانٍ إلى مَكانٍ؛ يُقالُ لِلَّذي يَنْبأُ مِنْ أَرضٍ إلى أَرْضٍ نابِئٌ، ومِنْهُ النَّبأُ: الخَبَرُ، لأَنَّهُ يأتي مِنْ مَكانٍ إلى مَكانٍ[3]؛ والنَّبأَةُ: الصَّوْتُ الخَفيُّ[4]؛ والإنباءُ: الإخبارُ بالنَّبأِ، وهو الخَبَرُ ذو الفائدةِ العظيمَةِ[5]، يحصل به علمٌ أو غلبةُ ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأٌ حتّى يتضمّن هذه الأشياءَ الثّلاثةَ، والنُّبوءَةُ، وتبدلُ الهمزةُ واوًا فيُقال النُّبوَّة: سِفارَةٌ بَيْنَ اللّه وبَيْنَ ذَوي العُقولِ مِنْ عِبادِهِ؛ وتَنَبَّأَ فلان: ادَّعى النُّبوءَة[6]، والمقصودُ بالإنباءِ في الآيةِ: الإخبارُ عن أمرٍ عظيم[7].

3) ﴿مُزِّقْتُمْ﴾: (مزق) أصلٌ يدُلُّ على تخَرُّقٍ في شَيءٍ[8]؛ من ذلك: المَزْقُ شقُّ الثّياب؛ يُقالُ: صار الثَّوبُ مِزَقًا أَي: قِطَعًا، والقِطعةُ منه مِزْقَةٌ، وكذلك مِزَقُ السَّحابِ قِطَعُه[9]؛ ومزَّقتُ القَومَ: فرَّقتُهُم فتمزَّقوا[10]؛ والتَّمزيقُ: التَّخريقُ والتَّقطيعُ[11]، والمرادُ به في الآية: تفكيكُ الأجزاءِ المُتلاصقةِ بعضِها عن بعضٍ بحيثُ تصيرُ قِطَعًا مُتباعِدةً[12]؛ فمعنى ﴿مُزِّقْتُمْ﴾: بَليتُم، وتفرَّقَتْ أجسادُكم.

4) ﴿خَلْقٍ﴾: (خلق) أصلٌ يدلُّ على ابتداعِ الشَّيء على مثالٍ لم يُسبَق إليه[13]، وعلى التَّقدير، يُقالُ: خَلَقْتُ الأديمَ، إذا قَدَّرْتَهُ قبل القطع؛ والخَلْقُ يَكونُ المصدرَ ويكونُ المخلوقَ[14]، وأُطلقَ الخَلْقُ في القُرآنِ الكريم على إيجادِ الأشياءِ المعدومةِ إيجادًا لا

(1) ابن منظور، لسان العرب: (دلل).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 148.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، مقاييس اللغة: (نبأ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (نبأ).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 412.
(6) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نبأ).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 149.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مزق).
(9) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (مزق).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مزق).
(11) ابن منظور، لسان العرب: (مزق).
(12) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 149.
(13) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خلق).
(14) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (خلق).

صنعةَ فيه للبَشَرِ؛ فالمقصودُ بالخَلْقِ في الآية: الإيجادُ وإبرازُ الشَّيءِ إلى الوجودِ.

5) ﴿جَدِيدٍ﴾: (جدّ) أصلٌ يدُلُّ على القَطْعِ للأرض المستوية؛ يُقالُ جَدَدْتُ الشَّيءَ جَدًّا، وهو مجدودٌ وجديدٌ: أَيْ مقطوعٌ؛ وقولُهم: ثوبٌ جديدٌ، كأنَّ ناسجَهُ قَطَعَهُ الآنَ، هذا هو الأَصلُ، ثمَّ سُمّيَ كلُّ شيءٍ لم تأتِ عليه الأيّامُ جديدًا[1]؛ والجِدَّةُ: نَقيضُ البِلى، والجَمْعُ أَجِدَّةٌ وجُدُدٌ وجُدَدٌ[2]، والخَلْقُ الجَديدُ: الحديثُ العهدِ بالوُجودِ، أَيْ في خَلْقٍ غيرِ الخَلْقِ الأَوَّلِ الَّذي أبلاهُ الزَّمانُ؛ وعليه فالمقصودُ به في الآية: المُحدَثُ، أيْ غيرِ خلقِنا الَّذي كُنّا فيه[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقصّ الحقُّ سبحانه ما قاله الكفّارُ فيما بيْنَهم على سبيلِ الاستهزاءِ بالنَّبيِّ ﷺ في إخبارِه بالبعثِ، واستبعادَهم ذلك، فيقولُ: وقال كُفّارُ قُرَيشٍ: هل ندُلُّكم على رجُلٍ يُنَبِّئُكم بأنَّكم إذا متُّم وأكلَتْكُمُ الأرضُ، وصِرتم رُفاتًا وعِظامًا، وتفرَّقَت في قُبورِكم كُلَّ تقطيعٍ وتَفريقٍ: أنَّكم بعدَ تلك الحالِ ستُبعَثونَ أحياءً مِن جَديدٍ!؟[4].

السُّخريّةُ والاستهزاءُ بالأنبياء شأنُ الكافرين

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ عطفِ الآية:

عُطفَ قولُ الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾؛ وغرضُ ذلك العطف: الجمعُ بين المقالة السّابقةِ وبين هذه المقولةِ التي تدلّ على شناعةِ

مُقابلةُ قولِ أهلِ الايمان بذكر مقولةٍ أخرى لأهل الشِّرك

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جدد).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جدد).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 219، و26/ 298.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 214، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 496، والبقاعي، نظم الدرر: 15/ 450، والمراغي، تفسير المراغي: 22/ 61.

أهل الشّرك، فالقولُ في هذه الآية قائمٌ مقامَ الاستدلال على قولهم الأوّل ﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ الذي هو بمنزلة الدّعوَى؛ فقولُهم: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ﴾ مستنَدُ تلك الدّعوَى، ولذا حُكيَ بمثل الأسلوب الذي حكيت به الدّعوَى في المسنَد والمسنَد إليه.

ويجوز أن تكون الآية معطوفةً على قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾؛ أي أنَّ الذين أوتوا العلمَ رأوا ما أُنزِل إلى النَّبيّ من آيات ربِّه، فعلموا أنَّها الحقّ، وقالوا بلسان الحال آمنا به وبما حدّث به عنِ البعث والحساب والجزاء؛ وكان قولُ الذين كفروا هو الاستهزاءَ والسُّخريّةَ برسول الله، والتَّكذيبَ لآيات الله، فقالوا ساخرين مستهزءين منكِرين: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾[1].

فمحصولُ الآيتَين أنَّه ﷺ لمّا قال: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ اعتقد المؤمنون إتيانَها، وقالوا: القرآن هو الحقُّ الهادي؛ وأمّا الكافرون المُنكِرون إتيانَها فقالوا مُتعجِّبين مستهزئين: (هل ندلُّكم على رجل يخبركم بحشر الأموات بعد ما تفرّقتْ أجسادُهم كلَّ التَّفرق؟).

دلالةُ التَّعبير بفعل القول ماضيًا:

هذا القولُ منهم قائمٌ مقامَ الاستدلال على القول الأوّل في زعمهم الباطل

جاء التّعبيرُ بفعلِ القولِ ماضيًا في الآية الكريمة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ على نسق سابقتها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾، لأنّ هذا القولَ منهم قائمٌ مقامَ الاستدلال على ذلك؛ فدَعواهُم ﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ﴾ مستندُها في زعمهم الباطلِ: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾، ولذلك حُكيَ بمثل الأسلوبِ الذي حُكيت به الدَّعوَى في المسنَد والمسنَد إليه[2].

(1) الخطيب، التفسير القرآني: 11/ 780.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 147.

عِلَّةُ التَّعبير بالموصول المجموع ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

رضا الجماعةِ بالمقولةِ كإصدار كلِّ فردٍ منهم هذا القولَ

أوثرَ التّعبيرُ بالفاعل اسمًا موصولًا مجموعًا في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾، وإن لم يقُلْ به كلُّ فردٍ من أفراد الذين كفروا: للإشارة إلى أنّه صدرَ من بعضهم برضا الجميعِ، من باب إسنادِ ما للبعض إلى الكلّ مجازًا لرضاهم[1].

دلالةُ الصِّلة ﴿كَفَرُواْ﴾:

التَّصريحُ على مناط الحُكم

دلَّ التّعبيرُ بالصّلةِ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ على مناط الحُكم، أي: (قال مُنكرو البعث بعضُهم لبعضٍ مُتعجِّبين منَ الرّسول هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلى رَجُلٍ)[2]؛ فكفرُهم هو سببُ إنكارهم للبعث واستهزائِهم بالنَّبيِّ ﷺ.

دلالةُ جملةِ موقعِ جُملة ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ﴾:

من عادات المستهزئين إخراج كلِّ شيء عن مضمونه

وقعت جُملةُ ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ﴾ مقولًا للقول في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾؛ وهذه الجملةُ جملةٌ إنشائيّةٌ طلبيّةٌ، لأنَّ الجملةَ الاستفهاميَّةَ تُعَدُّ من أنواع الإنشاء الطّلبيِّ، فالأصلُ فيها طلبُ الإفهام والإعلام لتحصيل فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدى المستفهِم، ثُمّ قد يَخرُجُ عن هذا الأصل إلى غيره، فيُستَدَلُّ على المعنى المراد بالقرائن القوليَّة أوِ الحاليَّة.

وإذا افترضنا أنَّ المُخاطَبين بهذا القول قد يكونون ممّن لا يعرفُ النَّبيَّ ﷺ ولا يعلمون عن دعوته شيئًا، منَ العرب الذين أَتَوا مكَّةَ حاجّين أو معتمِرين - بقرينة التَّعبيرِ عنه بـ﴿رَجُلٖ﴾ نكرةً -

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 452.
(2) المظهري، التَّفسير المظهري: 8/ 8.

فإنّ هذا القولَ إنّما صدر من مشركي قُريشٍ، العارفين حالَ النّبيّ وصدقَه وأمانتَه، فلا يمكن أن يكون إلّا في تقرير إنكار البعث فيما بينهم[1]، استهزاءً منهم بما وعدهم الله على لسان رسوله منَ البعث، فليس الاستفهامُ هنا مُرادًا على أصله، وإنّما أخرجوه مخرجَ التَّلهّي به، والتَّضاحُك ممّا يقوله من ذلك، لمّا كان البعثُ عندهم منَ المحال؛ كما يقول الرَّجلُ لمن يريد أن يُعجبه: هل أدلُّك على قصّة غريبةٍ نادرة؟.

بلاغةُ الإدماجِ في الاستفهام:

بيانُ سوءِ أدبِ المشركين مع الرَّسول ﷺ وشناعةِ مقولتهم

أدمج المُنكرون للبعث في الاستدلال الوارد في قولهم: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ التَّعجيبَ منَ الذي يأتي بنقيض دليلِهم، ثُمَّ أردفوا ذلك التَّعجيبَ بالطَّعن في المُتعَجَّب به في قولهم ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ﴾ [سبأ: 8][2]؛ وهذا يشفُّ عن سوء أدبِهم مع الرَّسول ﷺ وشناعةِ كُفرِهم وتكذيبِهم.

الغرضُ منَ الاستفهام ومورِدُه:

التَّعجيبُ إمعانٌ في التَّشكيك وإغراءً للتَّكذيب

الاستفهامُ بـ﴿هَلۡ﴾ في قول الذين كفروا ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ للعرْض - كالذي في قول الله تعالى ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النّازعات: 18]، وهو عَرْضٌ مكنّى به عنِ التَّعجيب، أي: (هل ندلُّكم على أعجوبةٍ من رجل يُنبِّئكم بهذا النّبأ المُحال)؛ والمعنى: (هلّا تسمعون منه ما سمعناه منه فتعرفوا عذرَنا في مناصبته العداءَ؟)، فلعلَّ المُشركين كانوا يستقبلون الواردين على مَكّة بهاتِه المقالة طَمَعًا منهم بأنّها تَصرِفُ النّاسَ عنِ النّظر في الدَّعوة؛ ويرجِّحُ ذلك إتمامُها

(1) آلغازي، تفسير القرآن العظيم: 2/ 497.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 147.

بالاستفهام ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ﴾ [سبأ: 8]، أي يقولون: (هل ندلّكم على رجلٍ يزعم أنّه نبيٌّ، لكنّه يدَّعي مُحالًا عجيبًا، بل هو مفترٍ أو مجنون؟!).

فمورِدُ الاستفهام هو ما تضمّنه قولُهم: ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ﴾ [سبأ: 7 - 8]، أي: (هل تريدون أن ندلّكم على مَن هذه صفتُه - أي - وليس من صفته أنّه نبيٌّ، بل هو إمّا كاذبٌ أو غيرُ عاقل؟)[1].

سرُّ التَّعبير بالدَّلالة:

آثرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالدّلالةِ دونَ غيرها في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ لأنّ معناها نُعرِّفُكم ونرشدُكم إلى الطَّريق الموصِل إلى مكانٍ مطلوب؛ وغالبُ استعمال هذا الفعل أن يكون إرشادَ مَنْ يطلبُ معرفةً، وبذلك فالآية تقتضي أنّ هذا القولَ يقولونه للذين يسألونهم عن خبر رجل ظَهَرَ بينهم يدّعي النَّبوءة[2]، وعرضوا عليهم الدّلالةَ عليه.

تظاهُرُ المشركين بجهله، استخفافًا به وبأمره

ويظهر من خلال التّعبير بفعل الدّلالة إبرازُ سلوكِهم السّيّءِ في تعاملهم مع الرّسولِ ﷺ ودعوتِه بالتّقليل من شأنه، بجعْلِه بمثابةِ رجلٍ مجهولِ المكان، يحتاج لدلالةِ دليلٍ عليه؛ وكانوا يقصدون الاستخفافَ والسُّخريّةَ، فأخرجوه مخرجَ التَّحلّي ببعض الأحاجي التي يُتحاجى بها للضّحِك والتّلهّي، متجاهلين به وبأمره[3].

سببُ عدمِ تعيينِ المخاطَب بـ﴿نَدُلُّكُمۡ﴾:

لم يُعيَّنِ المُخاطَبُ بـ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ

الاعتبارُ بشناعة القول، دون النَّظر إلى مُخاطَبٍ بعينه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 147 - 148.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 148 - 149.
(3) الزمخشري، الكشّاف: 3/ 569.

﴿لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ لأنَّ المقصودَ في الآية الاعتبارُ بشناعةِ القول، ولا غرضَ يتعلّقُ بالمقولِ لهم، فيجوزُ أن يكون قولُهم هذا تقاوُلًا بينهم، أو يقولَه بعضُهم لبعض، أو يقولُ كبراؤهم لعامّتهم ودهمائهم؛ ويجوزُ أن يكون قولَ كفّار مكّة للواردين عليهم في الموسِم، وهذا الذي يُؤْذِنُ به الفعلُ: ﴿نَدُلُّكُمۡ﴾، مِن أنَّه خطابٌ لمن يبلغُهم قولُ النَّبيِّ ﷺ[1].

دلالةُ التّعبير بالجارّ والمجرور ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ﴾:

تعَجُّبُ المكذِّبين بالقرآن، مع استخفافِهم بالنّبيّ ﷺ، وسُخريتِهم منه

دلَّ التّعبيرُ بالجارّ والمجرور ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ على أنّ غرضَهم الإخبارُ بالأعاجيب، وليس تعيينَ الرّجل، إذ ليس ذلك مقصودًا، بل المقصودُ كونُ ما أخبر به من أعجَب الأعاجيبِ في زعْمِهم؛ لأنَّ ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ﴾ بظاهرِه يُفيد أنَّه رجلٌ مجهولُ المكان، مُحتاجٌ لدلالةِ دليلٍ عليه، فقالوا هل ندلُّكم عليه؟ وهل لكم رغبةٌ في ذلك؟[2] من باب السّخريّةِ والاستهزاء.

دلالةُ التّعبير بـ﴿رَجُلٖ﴾ نكرةً:

التّجاهُل والتّقليلُ من شأنه

جاء التّعبيرُ بـ﴿رَجُلٖ﴾ مُنَكَّرًا في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾، وهم يقصدون النّبيَّ ﷺ، مع كَونِه مَعروفًا بيْنهم، ومِن أهْلِ بَلدِهم: لأنَّهم قَصَدوا مِن تَنكيرِه أنَّه لا يُعرَفُ، تَجاهُلًا وسُخريّةً منهم؛ فأخْرَجوهُ مخرَجَ التَّحلّي ببَعضِ الأحاجيِّ الَّتي يُتحاجَى بها للضَّحِك والتَّلهّي، مُتجاهِلينَ به وبأمْرِه فيما بينهم، وهذا السّلوك منهم لأسلوبِ تجاهُلِ العارفِ إنّما هو من سوءِ أدبِهم، وشناعةِ كَذِبهم؛ أن يصِفوا من عاشروه وعرفوه بأنّه ﴿رَجُلٖ﴾ من باب الازدراء والتّحقير.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 147.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 451.

وإذا كان قولُ المشركينَ موجَّهًا إلى الواردينَ مكَّةَ في المَوسمِ، كان التَّعبيرُ بـ﴿رَجُلٍ﴾ جَرْيًا على مُقْتضى الظّاهرِ، لأنَّ الواردينَ لا يَعرِفون النَّبيَّ ﷺ ولا دَعوتَه؛ فيكونُ كقولِ أبي ذَرٍّ قبْلَ إسلامِه لأخيهِ: (اذهَبْ فاستعْلِمْ لنا خبَرَ هذا الرَّجُلِ الَّذي يَزعُمُ أنَّه نَبيٌّ)[1].

التّعبيرُ على مقتضى الظّاهر في حال خطابِ من يجهَلُه

دلالةُ التَّعبير بالتَّنبئة:

آثرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالإنباءِ دونَ الإخبارِ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأنّ الإنباء يكونُ بالإخبار عن أمرٍ عظيم، وعظمةُ هذا القول عندهم عظمةُ إقدامِ قائلِه على ادِّعاء وقوعِ ما يرونه مُحالَ الوقوعِ[2]؛ ولأنَّ لفظةَ النَّبأ تُستعملُ في الخبر الذي فيه غرابةٌ، فيدلُّ على أنّه أمر غريبٌ عجيبٌ في نظرهم الفاسد[3].

تهكُّمُ المكذِّبين بأمر القرآن من أساليبِ صدّ النّاس عنه

دلالةُ التَّقييد بـ﴿إِذَا﴾:

﴿إِذَا﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ليس بمُفيدٍ شرطًا للخلق الجديد، لأنّه ليس يلزمُ للخلق الجديد أن يتقدَّمه البِلى؛ ولكنّ المُرادَ أنَّه يكون البِلى حائلًا دون الخلق الجديد المنبَّأ به[4].

يُنكرون الخلقَ من المُمَزَّق، وهم خُلِقوا من العَدَم!

سِرُّ ترتيب جملةِ ﴿إِذَا﴾ في الآية:

الظّرفُ ﴿إِذَا﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ عاملُه محذوفٌ، تقديرُه (تُبعَثون)، دلَّ عليه ما بعده ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾،

تعدّدُ الوجوهِ الإعرابيّة للجملة

(1) الكشّاف، الزَّمخشري: 3/ 570، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 521، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 122.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 149.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 451.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 149.

والمعنى: (ينبئكم أنّكم تُبعَثون إذا مُزِّقتُم كلَّ مُمَزّق إنّكم لفي خلق جديد)؛ سواءً جُعل ﴿إِذَا﴾ ظرفًا محضًا، أو متضمِّنًا معنى الشّرط، وجوابُه (تُبعَثون)، وجملةُ الظّرف مع عامله، أوِ الشّرطِ مع جوابه: إمّا في محلّ مفعولِ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾، وجملةُ ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تأكيدٌ لها؛ أو هي جملةٌ اعتراضيّةٌ، وجملةُ ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هي التي حلّت محلَّ مفعولِ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾[1].

وسواءً على جعْلِ جملةِ ﴿إِذَا﴾ في محلّ مفعول ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾، أو على جعْلِها اعتراضيّةً: تكون الجملةُ مقدَّمةً على ما يدلُّ على معنى عاملِ ﴿إِذَا﴾، وهو ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وسرُّ هذا التّرتيبِ: أنّه للاهتمام به، ليتقرّرَ في أذهان السّامعين، لأنَّه مَناطُ الإحالة في زعمهم؛ فإنَّ إعادةَ الحياة للأموات تكونُ بعد انعدام أجزاءِ الأجساد، وتكونُ بعد تفرقُّها تفرُّقًا قريبًا منَ العدم، وتكونُ بعد تفرُّقٍ ما، وتكونُ مع بقاءِ الأجساد على حالها بقاءً متفاوتًا في الصَّلابة والرُّطوبة؛ وهم أنكروا إعادةَ الحياة في سائر الأحوال، ولكنّهم خصّوا في كلامهم الإعادةَ بعد التَّمزُّقِ كُلَّ مُمَزَّق - أي: بعد اضمحلال الأجساد أو تفرُّقِها الشَّديد - لقوَّة استحالة إرجاعِ الحياة إليها بعدئذٍ - في عقولهم القاصرة[2] إذِ استبعَدوا أشدَّ الاستبعاد كونَ أجزاءِ الموتى متمزِّقةً ومتفرّقة، غيرَ قابلةٍ للإعادة والخلق الجديد؛ لذلك قدّموا جملةَ ﴿إِذَا﴾، اهتمامًا ودلالةً على البعد والمبالغة فيه[3].

للدّلالة على البعد والمبالغة، اهتمامًا بالمضمون، وتقريرًا في الأذهان

دلالةُ الاعتراض بجُملة ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾:

الجُملةُ الاعتراضيَّةُ ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تُمَهِّد للحكم على المنطوق قبل

التّمهيدُ للحُكم على المنطوق قبل النُّطق به، توجيهًا للنّفوس إلى هذا الحكم

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 154.
(2) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 242، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 149.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 453.

النُّطق به، وهذا القولُ ليس من قول النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما اعترضت بين المُتلازمَين لتؤدّيَ دورًا نَفْسيًّا للمقولِ لهم، وتلوحَ للحُكم عليه دون التَّصريح به، للتّأثيرِ على المخاطَبين؛ فقد أدخل المُشركون هذا الاعتراضَ ضِمنَ كلام النّبيِّ ﷺ تنبيهًا على استحالة ما يقوله هذا الرَّجلُ، على أنّه لازمٌ لإثبات الخلق الجديد لِكُلِّ الأموات[1].

سرُّ التّعبير بالتَّمزيق مرّتين:

التّأثيرُ النَّفسيُّ على قلوب المخاطَبين

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بمادّةِ التّمزيقِ مرّتين في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾: لِما يحملُه هذا اللّفظُ من إيحاءاتٍ نفسيّة تُؤَثِّرُ على نفوس المخاطَبين؛ لأنّ التّمزيقَ هو تفكيكُ الأجزاءِ المُتلاصقة بعضِها عن بعض، بحيث تصير قِطَعًا مُتباعدة؛ والمُمَزَّق: مصدرٌ ميميٌّ لِمَزَّقَه، مثل المُسرَّح للتَّسريح[2]، وقد جيء بهذه المادّة مكرّرةً للتّأثيرِ النّفسيِّ على المخاطَبين، واستمالتِهم إلى ردِّ الدَّعوة الإسلامية ومعاداةِ صاحبِها.

بلاغةُ الاستعارةِ باستعمال مادّة التَّمزيق:

المبالغةُ في معنى تفرُّق أجسادهم بعد الموت، تمهيدًا لإنكار البعث

تظهر بلاغةُ الاستعارة في استعراض المشركين إنكارَ البعث بما توهَّموه دليلًا عقليًّا عن طريق الاستعارة، حيث شَبَّه المشركون تحلُّلَ أجسادهم وتفرُّقَها بعدَ الموت بتمزيق الثَّوب، في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾؛ واشتُقَّ منَ التَّمزيق الفعلُ ﴿مُزِّقۡتُمۡ﴾ والمصدّرةُ ﴿مُمَزَّقٍ﴾، والجامعُ بين التّحلُّلِ والتّمزُّقِ هو استحالةُ إعادة الشَّيء لحالته الأولى بعد فنائها في زعمهم الموهوم، وقد مَنَعَ من إرادة المعنى الأصلي القرينةُ العقليَّةُ، باستحالة أن يكون التَّمزيق

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 149.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 149.

للجسد؛ ثُمَّ حُذف المشبَّهُ به – وهو الثّوبُ – ودُلّل عليه بفعل التَّمزيق، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ملائمٌ للمشبّه، لأنَّ إعادة الخلق تناسب هيئةَ المشبّه في حال التَّحلُّل؛ ولذلك فالاستعارة مكنيَّةٌ تبعيَّةٌ مُجرَّدةٌ.

وقد أفادت هذه الاستعارةُ المُبالغةَ، حيث عبَّروا بها للمبالغة في معنى تفرُّق أجسادهم بعد الموت تمهيدًا لإنكار البعث، فعند التّمَعُّن في استعادة التّمزيق في الجملة: يُلاحَظ أنّ التَّعبيرَ بهذه المادّة من خلال القالب التَّصويريِّ لها تأثيرٌ وِجدانيٌّ في نفس المستمع، يستميلُه إلى صدق دعواهم؛ فالثَّوبُ لا يعود على حالة نسْجِه الأولى بعد تمزيقه، فكيف تعود الأجساد بعد تحلُّلها خلقًا جديدًا؟! فكان هذا تصويرَ المشركين للبعث، ولا شكَّ أنّه تصوُّرٌ خاطئ، نابعٌ عن رؤية فاسدة[1].

دلالةُ صيغة ﴿مُمَزَّقٍ﴾:

استبعادُ الكافرين بأنْ يبعثَ الله الموتى بعد تفريق أجسادهم، وتفرُّقِ أجزائهم

يحتمل أن يكون لفظُ ﴿مُمَزَّقٍ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ اسمَ مصدرٍ، أي: (إذا مزِّقَت أجسادُكم كلَّ تمزيقٍ وتفريقٍ، بحيث تصير ترابًا)؛ ويحتملُ أن يكون ظرفَ مكانٍ، بمعنى: (إذا مُزِّقتُم وذهبَتْ بكمُ السيولُ كلَّ مَذهَبٍ، وطُرِحتُم كلَّ مَطرَحٍ)[2]، وفي هذا اللّفظ دَلالةٌ على الاستبعاد، أي بُعدَ المدّعَى في رأي القائلين، من تجديد الخَلق، فإنَّ تفريقَهم غايةَ التَّفريق يُبعِد الإعادة[3].

دلالةُ التّعبير بلفظ العموم ﴿كُلَّ﴾:

استعمالُها في معنى كثرة التَّمزُّق والتَّشتُّت

لفظُ العموم ﴿كُلَّ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ

(1) مرعي، البلاغة القرآنية في سورة سبأ، ص: 56.
(2) البيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 242، وزاده، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي: 6/ 676.
(3) الشِّهاب، حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي: 7/ 523.

جَدِيدٍ﴾ مستعملٌ في معنى الكثرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [يونس: 97][1]؛ أي: (إذا مُزِّقتم بما حصل لكم بعد الموت، فتفرّقت أجسادُكم في الأرض، وفي بطون الطّيرِ والسّباعِ، ومرّتِ السّيولُ فذهبت بها كلَّ مَذهَب، وسفَّتِ الرّياحُ فطرحتها كلَّ مطرح)[2].

علّةُ فصلِ جملة ﴿إِنَّكُمْ﴾ عما قبلها:

الجملةُ واقعةٌ جوابًا عن سؤال مفهوم ممّا قبلها

فُصلت جملةُ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ عمّا قبلَها - على القول بمفعوليّة جملة ﴿إِذَا﴾ لفعل التّنبئة: لأنّها وقعتْ جوابًا عن سؤالٍ مفهوم ممّا قبلَها؛ فكأنَّ سائلًا سأل: ماذا يُنبئنا هذا الرَّجلُ؟ فجاء الجواب ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ ففُصلتِ الجملةُ لشبه كمال الاتّصال.

سِرُّ مجيء حرفِ التَّوكيد (إنَّ) مكسورَ الهمزة:

مُراعاةُ حكايةِ القول في التَّعبير بالإنباء

جاء حرفُ التّوكيدِ (إنَّ) مكسورًا في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لحمل الإنباء على معنى القول، فالإنباءُ إخبارٌ، وضربٌ منَ القول[3]، ولذلك صحّ أن يقع بعده ما هو من قول المنبّئ؛ فالمعنى: (يقول إنّكم لفي خلق جديد)، ولذلك اجتلبت (إنّ) المكسورةُ الهمزةِ دون المفتوحة، لمراعاة حكايةِ القول[4].

غرضُ التَّوكيدِ في جملة ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾:

شأنُ الكافرين تهويلُ الدَّعوى، واستخفافُ المدّعي

جاءت جملةُ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مؤكَّدةً بـ(إنّ) وباللّام، لأنّها نَزَّلت خاليَ الذِّهن منَ الحكم منزلةَ المُنكِر له، وتنزيلُه هذه المنزلةَ يُشعِر بعِظَم الأمر الذي يدعو إليه هذا الرَّجلُ، كما يُشعِر بمدى ازدرائِهم بتلك الدَّعوى؛ وهذا التَّنزيلُ مُفادُه أنّ الخبر خرجَ عنِ الظّاهر للمأرب البلاغيّ المذكور.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 150.
(2) الزَّمخشري، الكشاف: 3/ 569، والمظهري، التَّفسير المظهري: 8/ 8.
(3) الواحدي، التَّفسير البسيط، ص: 316.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 150.

دلالةُ التّعبيرِ بحرف الظرفيّة (في):

استبعدوا أن يحتويَ الخلقُ الجديد أجسادَهم البالية

دلَّ الحرفُ (في) من قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ على الظَّرفيّة المجازيّة؛ فالتّعبيرُ بها يُفهِمُ شدَّةَ التَّلبُّس بالخلق الجديد، تَلَبُّسًا كتلبُّسِ المَظروف بالظَّرف[1].

لطيفةُ تنكيرِ ﴿خَلۡقٖ﴾:

المُبالغةُ في استبعاد البعث بعد الموت

نُكِّرَت لفظةُ ﴿خَلۡقٖ﴾ في الآية للمبالغة في استبعاد البعث بعد الموت؛ أي: (تُخلَقون خلقًا جديدًا، وتُبعَثون من قبوركم أحياءً، وتعودون إلى الصّوَر التي كنتم عليها أوَّلًا)[2].

نكتةُ وصفِ الخلق بـ﴿جَدِيدٍ﴾:

إعادةُ الخلقِ باتِّحاد الذّات، وتجديدِ الصّفات

وُصِف الخلقُ بـ﴿جَدِيدٍ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾، لأنَّ الإنسانَ إذا بُعِثَ فإنَّه لا يُبعَثُ كحالِه في الدُّنيا، بل يُبعَثُ في حالٍ أشَدَّ وأقوى، فهو سيُبعَثُ على أنَّه مُؤبَّدٌ لا يموتُ؛ فقولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ أي: في أوصافِه، لأنَّ الصَّحيحَ أنَّ الخَلْقَ هو إعادةُ ما مضَى[3].

دلالةُ صيغةِ الوصف ﴿جَدِيدٍ﴾:

استبعادُهم عودةَ الأجساد إلى الحياة، أو عودةَ الحياة إلى الأجسام

وُصِفَ الخلقُ بأنّه جديد في قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾، والجديدُ عند البصريّين بمعنى (فاعل)، تقول: جدّ فهو جديد، كحدَّ فهو حديد، وقلَّ فهو قليل؛ وعند الكوفيّين بمعنى (مفعول)، من جَدَّه إذا قطعه، وقالوا: هو الذي جَدَّه النّاسجُ السّاعةَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 150.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 191.
(3) ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص: 70.

في الثَّوب، ثمّ شاع، ولهذا قالوا: مِلحفةٌ جديد[1]، وعلى هذا يكون تعجُّب الكفّار من ذلك الجسد الذي يعود إلى الحياة كسابق عهدِه في خلقه الأوَّل، فيكونُ هذا على معنى اسم الفاعل، أو يكون بمعنى أن تعود إليه الحياة بإعادة خلقه مرَّةً أخرى، فيكونُ هذا على معنى اسم المفعول؛ ومثل ذلك قولُه تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدَۢا ٤٩﴾ [الإسراء: 49]، والكفّارُ بهذَين المعنَيَين يستبعدون حدوثَ الأمرين، في سبيل إنكار البعث بالكليَّة[2].

غرضُ العدولِ إلى اسميّة الجملة:

عُدِل بالجملة الاسميّة ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ عن الجُملةِ الفعليَّةِ الدّالَّةِ على الحُدوثِ مِثلُ (تُبعثون)، أو (تُخلَقون خلقًا جديدًا): للإشباعِ في الاستِبعادِ والتَّعجُّب[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الدّلالةُ والإرشادُ:

الدَّلالةُ ما يُتَوصَّل به إلى معرفة الشَّيء، كدلالةِ الألفاظ على المعنى، ودلالةِ الإشارات والرُّموزِ والكتابةِ والعقودِ في الحساب؛ سواءٌ كان ذلك بقصدٍ ممّن يجعله دلالةً، أو لم يكن بقصدٍ: كمن يرى حركةَ إنسان فيعلم أنَّه حيّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: 14]، والإرشادُ بيانُ الطّريقِ والتّعريفُ بالقصد والصّواب[4]؛ ولا يُقال أرشده إلّا إلى المحبوب، والرّاشد هو القابلُ للإرشاد، والرَّشيد مُبالغةٌ من ذلك؛ ويجوز أن يكون الرَّشيدُ الذي صلحَ بما في نفسه ممّا بعث عليه الخير[5].

الدَّلالةُ عامَّةٌ في معنى البيانِ والتَّعريفِ، والإرشادُ بيانُ وجهِ الحَقِّ والخير

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 455، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 284.
(2) مرعي، البلاغة القرآنية في سورة سبأ، ص: 56.
(3) أبو السُّعود، ارشاد العقل السَّليم: 7/ 122، 123.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (رشد).
(5) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 4/ 141.

والنّاظرُ في سياق الآيات التي ورد فيها لفظُ الدَّلالة ومُشتقّاتُه يجد أنّ أكثرها في غير معنى الهداية إلى اللّه، بلِ الدَّلالةُ على شيءٍ دنيويّ، ما عدا قولَ اللّه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصف: 10]، ولعلَّ في هذا قرينةً على أنّ الاستعمال القرآنيَّ للفظِ الدَّلالة يقصرُه على معنى البيان والتَّعريف؛ وعلى هذا يكون الإرشاد أخصَّ منَ الدَّلالة، فالدّلالةُ عامّة في معنى البيان والتّعريف، سواءً في الخير أو في الشرّ، وسواءً بقصد أو بغير قصد؛ أمّا الإرشادُ فهو بيانُ وجْهِ الحقِّ والخير، ولا يكون الإرشادُ في الشّرّ، كما أنّه لا بدّ أن يكون مقصودًا[1].

الخبرُ والنَّبأُ:

النَّبأ هو الخبرُ الذي له شأنٌ عظيمٌ[2]؛ ومنه اشتقاقُ النُّبوَّة، لأنَّ النَّبيَّ مُخبِرٌ عنِ اللّه تعالى؛ وفي قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢﴾ [النَّبأ: 1 - 2]، وصْفٌ للنّبأ بالعظمةِ، وصفًا كاشِفًا عن حقيقته، ولا يُقال للخبر نبأً حتَّى يكونَ خبرًا ذا فائدةٍ عظيمة، يحصلُ به العلمُ أو غلَبةُ الظّنّ، والصّيغةُ الفعليَّةُ للنَّبأ (أَنْبَأَ) أقوى أيضًا منها للخبر (أَخْبَرَ)؛ قال تعالى ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣﴾ [الكهف: 103][3].

النَّبأُ خبرٌ ذو شأنٍ عظيمٍ، والخبرُ أعمُّ

(1) محمد داود، الفروق الدلالية، ص: 254.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 481.
(3) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 529.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»